لتجعلها لأجسامنا حياة . » وإذا تبرّمنا بالمطر خيفة أن تتبلل قبعة لنا جديدة ، أو يلوّث بالوحل حذاء لمّاع ، اقتبل المطر بقلب ضاحك وقال : « تبارك يا رب غيثك الذي يحوّل الأرض العابسة إلى مروج باسمة . »

إن هذا الشعب الأصمّ الذي يفهم ما تقول الأرض والسماء ، وتفهم السماء والأرض ما يقول ، لأفصح منّا ، وأعقل منّا ، وأقرب إلى الله منّا بما لا يقاس . إنّه يستقبل الفجر ساعياً وراء رزقه ورزق سواه من الأرض التي لا رزق إلا منها . ونحن نستقبل الفجر في أسرّتنا . نغطّ أحلاماً مزعجة . ثم نفيق والشمس قد ارتفعت قامات ونخرج من مخادعنا لنحصل على رزقنا بحيلة .

هو يغتسل سحابة نهاره بعرق العافية . ونحن إذا تصببت منّا قطرة عرق مسحناها في الحال بمنديل أبيض مخافة أن تفسد النشاء في « الطوق » الأبيض المكوي .

هو يتعطّر برائحة الأرض وما تولّده الأرض من الأزهار والأعشاب . ونحن بأنفاس المدنيّة الفاسدة ، وما تولده المدنيّة من المساحيق والأدهان والأطياب .

هو شريك الحياة المولدة في التوليد . يعرف سرّ التربة . وسرّ الحبّة . فيُعدّ التربة لاقتبال الحبّة في أوانها . ويلقي الحبّة في أوانها . ويسقيها في أوانها . ثم يحصدها في أوانها . أما نحن